بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

التدين ظاهرة عامة يشترك فيها الناس قاطبة ، غير أنهم يختلفون فى تصور حقيقة الدين ، وفى مفهوم ما ينبغى أن يكون عليه المرء ليصبح متديناً ، ومن هنا جاء تعدد الأديان واختلافها ، غير أن المشاهد لهذا التعدد يرى أنه ينقسم إلى قسمين :

- قسم سماوى ، أى ما نزل من عند الله على رسله ، الذين اصطفاهم ليبلغوا وحيه إلى الناس .
- والآخر غير سماوى ، ويدخل فى ذلك دعوات المصلحين ، وادعاءات من أضفوا على أنفسهم ثوب القداسة الدينية ، لينالوا جاهاً بين الناس وقبولاً عندهم .

ومن الطبيعى أن ينشأ بينهم وبين أصحاب الدعوات الإلهية خصومة حادة ، لتنافر مبادئ كلا الفريقين فى الأهداف والغايات ، وتباعدها فى السلوك والاتجاهات ، وتباينها فى الأخلاق والعبادات .

كذلك من المعروف تاريخياً أن أصحاب الدعوات البشرية ساندت بعضها — فى معظم الأحيان — ضد الأنبياء ، واستعانت ببعضها لوقف تأثير الدعاة إلى الله فى المجتمع الإنسانى ، وكان هواهم وتأييدهم المعنوى — فى حالة العجز عن التأييد المادى — مع من يتفقون معهم فى طبيعة العقيدة ومصدرها ؛ فقد فرح مشركو مكة ، عندما انتصر الفرس الوثنيون على الروم ، أتباع عيسى بن مريم عليه السلام ، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يرون أنهم أقرب إلى الفرس منهم إلى الروم ، لتشابه عقيدتهم فى الصورة العامة ، وقرب الصلة بين ما يدعو إليه محمد ﷺ وبين عقيدة الروم .

كان من المفروض — قياساً على هذا — أن يميل أهل الروم إلى الإسلام فيعتنقوه ويناصروا نبيه ، ويقفوا صفاً واحداً فى جبهة واحدة ضد الوثنيين ، وأصحاب النحل

البشرية ، لكن ذلك لم يحدث ، فهم قد ناصبوه العداء ، فجادلوا المسلمين وافتروا على الإسلام ، وتجنوا على رسوله ، فأشاعوا عنه ما لم يكن فيه ، وقالوا عن لسانه ما لم يقله ، وأولوا فى آيات القرآن الكريم بما لم يحمله اللفظ ، ولا تقبله أساليب اللغة .

فآباء الكنيسة اتخذوا الهجوم المباشر أسلوباً ، وتشويه الحقائق منهجاً ، فجاءت كتاباتهم عن الإسلام مخالفة للواقع ، طافحة بمظاهر التعصب والتحامل ، مما جعل الإسلام يبدو للأوربيين — حين كانت الكنيسة هى المصدر الوحيد للمعرفة — مخيفاً ، والمسلمين وحوشاً .

قادت الكنيسة حملة شعواء ضد النبى ﷺ ، فظلت تلقن أتباعها الافتراءات والاتهامات ضده ، حتى صار هذا الجانب جزءاً لا ينفصل عن الثقافة الأوربية ، لا يستطيع أحد التخلص منه بسهولة ، يقول جوتشالك :

" إن التقاليد الأوربية الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ تجعل من الصعب علينا أن نلتزم الحياد فى بحث سيرة محمد (ﷺ) ، فتأثير المسيحية متغلغل فى كل جوانب مجتمعنا ، لدرجة لا تمكننا من الفصل بين حياته وبين رسالته الدينية ، لأن هجوم بعض النقاد على القرآن — الذى هو دستور الحياة للمسلمين — أقل بكثير من الهجوم على سيرة محمد ، ومقصدهم من ذلك إفهام الأوربيين أن من تكون حياته على هذا النحو لا يمكن أن يكون جاداً فى دعوته للناس إلى دين صحيح .

" ساد هذا الرأى — ولا زال — بين كثيرين ، بل وصل الأمر إلى أكثر من هذا ، فقد وصفوه صراحة — دون تورية ولا تكنية — بأنه محتال ، وسفاح ، وشهوان . فالحقد السياسى — الذى نتج عن انتشار الإسلام وسيطرته على كثير من مناطق العالم — والتعصب الدينى دفعا هؤلاء الكتاب إلى البحث عن الجوانب المظلمة ، لاستخدامها فى موقف الدين الإسلامى ، فوجدوا نقطة بداية هذا الخط فى حياة النبى ﷺ ، فاستخدموها — كدليل على أن الإسلام لا يصلح لشيء منه — للتنفير منه . " [1]

---

[1]) الإسلام فى الفكر الأوربى : محمد شامة صـ 39

أما المستشرقون (وهم القائمون على كراسي الدراسات الاستشراقية في الجامعات التي كان الهدف من إنشائها (أي الكراسي) خدمة المستعمرين ، لأنهم كانوا – وما زالوا – مستشارين لحكوماتهم في شئون الدول الإسلامية) فقد ادعوا أنهم ينهجون المنهج العلمي الحديث في الدراسات الإسلامية ، لكن بحوثهم دارت في دهاليز التعصب ضد الإسلام ، لأن اللاوعي عندهم مليء بما غرسته الكنيسة في عقول أسلافهم . ومن الإنصاف القول بأن الطابع العام أقل حدة مما كتبه آباء الكنيسة ، وبأنه ظهر بينهم أفراد التزموا الحياد في بعض جوانب بحوثهم ، لأنه لا يوجد عالم يستطيع أن يتخلص كلية من آثار مجتمعه الثقافي .

وقد عرضنا في بحث " **الإسلام في أروقة المستشرقين** " بعضاً مما قاله المتحاملون على الإسلام ، وبينا خطأهم في منهج البحث ونتائجه ، ثم أردفناه ببحوث في قضايا معاصرة ، يمكن أن يدور البحث فيها وحولها في لقاءات حوار الأديان ، وخاصة مع غير المسلمين من المستشرقين ومن يدور في فلكهم في فهم القضايا الإسلامية ، مثل : " موقف الأزهر من المتغيرات الفكرية " ، و " تعدد الزوجات في الأديان " ، ، " حتمية العقيدة في الحياة " ، كما بينا في عدة أبحاث أن الإسلام دين ودولة ، وأنه يقدس الحياة ، فيحرم الاعتداء على النفس بغير حق ، بالإضافة إلى أمور يحتاج إليها المسلم في حياته ، وأثناء لقاءاته مع غير المسلمين ومحاوراته معهم حول القضايا الإنسانية المعاصرة ، وشرح مبادئ الإسلام وتعاليمه راجياً من الله أن يكون هذا إسهاماً في تنظيف القلوب مما ران عليها من جراء تحامل المستشرقين على الإسلام ، وتبصير الأفئدة حول ما علق بها من افتراءات المتحاملين على الرسول ورسالته ، وادعاءاتهم الكاذبة في حق الله وأنبيائه .

أقدم هذه البحوث للقارئ المسلم ، ليتسلح بها ضد من يفترى على الإسلام ونبيه ، ولغير المسلم ليعلم أن ما يدعيه المستشرقون ، وتنشره وسائل الإعلام الغربية عن الإسلام ليس صحيحاً ، وإنما هو محض افتراء ، لا يسلم به العقل السليم الواعي ، لأنه لا يتفق مع

مبادئ البحث العلمى المتفق عليها فى أروقة البحث عند كل الشعوب ، على اختلاف أجناسها وعقائدها ، وتباين عاداتها وتقاليدها .

محمد عبد الغنى شـــامـــــة

obeikandl.com